

دور العقل في الفكر الإسلامي المعاصر
The Role of Aqal in Contemporary Islamic Thought

Shaikhah Binti Shikh Nasir

Master's student in Arabic Linguistic Studies, International Islamic University
Malaysia
shaikhah.nasir@gmail.com

Rahmah Binti Ahmad H. Osman

rahmahao@iium.edu.my (Corresponding author)
Kulliyah Of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences, International Islamic
University Malaysia (IIUM)

Nurul Shafiqah Binti Muhamad Shatir

Master's student in Teaching Arabic as a Second Language, International
Islamic University Malaysia
shafiqahnurul312@gmail.com

Min Hailong

Master's student in Arabic Linguistic Studies, International Islamic University
Malaysia
mhl.7417@gmail.com

ملخص

يأتي هذا البحث بعد أن تفاقمت قضايا العصر الحديث التي نكاد نكون قد افتقرنا لوجود حل مناسب يعالج هذه القضايا من جذورها، بالإضافة إلى الركود الذي حدث للفكر الإسلامي، إذ أنّ هذه الأزمة ستزول بإذنه تعالى وبجهود المسلمين الذين يستشعرون ميزة العقل التي وهبها الله لنا كي نتفكر ونتدبر ونتأمل، كما أنّ العقل له دور كبير في إصلاح وتحديد الفكر الإسلامي المعاصر من خلال الاجتهاد الذي يأتي بعد مصادر التشريع الأساسية مكانة، فالإسلام دين يحننا على الاجتهاد في الأمور المعاصرة التي بزغت مع تطورات العصور على مر الأزمنة.

الكلمات المفتاحية: العقل، المعاصر، الفكر الإسلامي

Abstract

This research derives after the aggravation of the issues of the modern era, which we almost lacked in the presence of an appropriate solution that treats these issues from their roots, in addition to the recession that occurred in Islamic thought, as this crisis will disappear by Allah's permission and by the efforts of Muslims who believe the grace of Aqal that Allah grants us to think, and ponder, also Aqal has a major role in reforming and renewing contemporary Islamic thought through ijtiḥad, which comes after the basic sources of legislation position. Islam is a religion that motives us to search in contemporary matters that have emerged with the developments of the eras over the time.

Keywords: Aqal, Contemporary, Islamic thought

المقدمة

سبحان من خلق الإنسان وميّزه وكرّمه بالعقل عن سائر المخلوقات الأخرى، سبحانه من أودع للعقل طاقات إدراكية للتفكير والتدبر في كتاب الله والعمل على الاجتهاد والتجديد إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: 70).
 قد بدأنا بحثنا في تعريف مفهوم العقل عامة ومفهوم العقل في كتاب "العهد القديم" وفي القرآن الكريم، كما بيّنا مفهوم الفكر عامة ومفهوم الفكر الإسلامي، والفرق بين الإسلام والفكر الإسلامي وبين الفكر الإسلامي والغربي، وتطرقتنا أيضاً لمفهوم الفكر الإسلامي المعاصر وصور القضايا المعاصرة التي تحتاج إلى تجديد، وأخيراً اختتمنا بالحديث عن التجديد والاجتهاد ودور العقل في تدبر الغاية الوجودية للإنسان.

أهداف البحث:

1. بيان مفهوم العقل في كتاب العهد القديم والقرآن الكريم.

2. بيان مفهوم الفكر والفرق بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي.
3. بيان أزمة الفكر الإسلامي المعاصر وصور جمودها.
4. التجديد والاجتهاد في الفكر الإسلامي المعاصر.

أسئلة البحث:

1. ما مفهوم العقل في كتاب العهد القديم والقرآن الكريم؟
2. ما مفهوم الفكر والفرق بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي؟
3. ما أزمة الفكر الإسلامي المعاصر وصور جمودها؟
4. ما منهج التجديد والاجتهاد ودور العقل في تدبر الغاية الوجودية للإنسان؟

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في الواقع الحالي للركود في الفكر الإسلامي ومسؤوليتها مسؤولية مشتركة تقع على عاتق المسلمين، وهي بحاجة ماسة إلى تضافر الجهود لمحاولة انعاش هذا الفكر والخروج بالأمة إلى الإرتقاء والابتعاد عن الجانب المظلم.

منهج البحث:

دراسة دور العقل في الفكر الإسلامي المعاصر وفق المنهج الوصفي، حيث يتم عرض المادة وفقاً لما تقتضيه خطة البحث وتفرعاتها، ومن ثم يتم الوصف من خلال المقارنة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي مع الاستدلال بذلك من القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال العلماء وآرائهم.

الدراسات السابقة:

قد وجدنا دراسات سابقة تتحدث عن دور العقل والتفكير ، وهي كما يلي:
 كشف البحث عن جوانب الفكر والتفكير خصوصاً في القرآن الكريم للباحث محمود محمد عودة الهيشان (Al-Haishan, 1996). واستنتجنا من هذا البحث في مناقشة عن دور العقل وتأثيره في حياة الإنسان وسلوكه، ومكانته في الإسلام، وقد ورد في القرآن

الكريم ذكر الكثير من العمليات العقلية كالتفكير والتذكر والتدبر والتفقه فجميع هذه العمليات مترابطة متكاملة هادفة، والتفكير في القرآن الكريم عملية عقلية شاملة لمختلف أنواع النشاط للإنسان. ولأن وسيلة التفكير مهمة في حياة الإنسان فقد كثر ذكرها في القرآن الكريم، كما دعنا إلى توجيهها توجيهاً مقصوداً للإدراك والفهم، والربط بينها وبين العقل والفؤاد في كثير من آيات الكتاب الكريم، والذين يستغلون حواسهم بالاتجاه الصحيح فقد شُبهوا بالأنعام، وعُنيبت اللغة وأساليبيها في التواصل ونقل المعرفة، لأنها وسيلة التفكير والتعبير، واشتمل القرآن الكريم أيضاً على توجيهات لتنمية التفكير كتحرير التفكير من العوائق المتنوعة، واتباع قواعد منهجية مختلفة متنوعة لتنمية التفكير. وكذلك جرى بحثاً آخر في ذات الموضوع، بعنوان "التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم" للباحث عبد الوهاب محمود إبراهيم حناشيه (Hanashiyah, 2009).

تكلما الحاجة سري وبهجت حباشنة عن حقوق الإنسان المتعلقة ب"العقل". واستخلصت الدراسة إلى عدة نتائج: أولاً: إن مكانة العقل في القرآن الكريم قيمة عظيمة، ثانياً: تنظيم القرآن الكريم يساعد قدرة العقل في التفكير، ثالثاً: الدعوة إلى تحرير العقل من الجهود ثم الدعوة إلى إعمال العقل للوصول إلى الحق. فمكانة العقل في العهد القديم مهانة ومزدهرا وقد حُبست في التقليد والجمود، ولقد أنكر القرآن الكريم مبدأ الوساطة بين الخالق والمخلوق بينما أقره العهد القديم وذلك عن طريق تفويض السلطة الدينية والدينيوية إلى الكهنة وجعل سلطتهم مطلقة، كما حرص القرآن الكريم على تجنيب العقل من كل المفسدات المعنوية والمادية، فحرم المسكرات وحارب الخرافات والتيارات المضلة للعقل، علماً بأن العهد القديم قد جعل العقل عرضة لهذه المفسدات بشقيها. فالعقل هو قوة أو غريزة وضعها الله تعالى في الإنسان ليميزه به عن الحيوان، وهو الحاكم لما تأتي به الحواس من معلومات أو معارف فيقر ما يقره ويبتل ما يبطله، والعقل نور يقذف في القلب ويساعد في إدراك الأشياء، إن التفكير والتدبر في مخلوقات الله تعالى وفي الكون يزيد الإنسان إيماناً (Hamd, 2016).

أولاً: مفهوم العقل

- تعريف العقل لغةً واصطلاحاً:

العقل في اللغة هو مصدر من عَقَلَ يَعْقِلُ عَقْلاً مَعْقُولاً وجمعه عُقُولٌ، ورجلٌ عاقلٌ هو الجامع لأمره ورأيه، مأخوذ من عقلتُ البعيرَ إذا جَمَعْت قوائمه، والعاقل جمعُه عُقَلَاء.

وقيل بأنَّ العاقل هو الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها، أخذاً من قولهم قد اعتقل لأنه إذا حُبِسَ ومُنِعَ الكلام، ويقال أيضاً العقل: العلم، والديه، والحصن، كما يقال أيضاً العقل القلب (Ibn Manzur, 1290h).

وأصل العقل هو الإمساك والاستمساك، ومثال على ذلك: عَقِلَ البعير بالعَقَال وعَقِلَ الدواء البطن وعَقَلَتِ المرأة شعرها وعَقَلَ لسانه كَقَه (Al-Raghib, 1108h). فالعقل بمعنى حبس الشيء والإمساك به.

ورد في القاموس المحيط بأنَّ العقل هو "العلم بصفات الأشياء سواء بحسنها أو بقبحها، بكما لها أو بنقصانها، أو العلم بخير الخيرين وشر الشرين، أو بمطلق لأمر، أو لقوة بها يكون التمييز بين القبح والحسن، ولمعان مجتمعة في الذهن، ويكون بمقدمات يستتب بها الأغراض والمصالح، وهيئة محمودة للإنسان في حركاته وكلامه. والحق أنه نور روحاني، به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية" (Al-Fairuz Abadi, 2005).

وقيل بأنَّ العقل هو التمييز الذي به يتميز الإنسان عن سائر الحيوان... وعقل الشيء يعقله عقلاً: فهمه... والعقل الحجر والنهي: ضد الحمق وهو التثبت في الأمور (Ibn Manzur, 1290h).

العقل في الاصطلاح: هو القوة المتهيئة لقبول العلم (Al-Fairuz Abadi, 2005)، وقد اختلف العلماء في مقصود العقل على أقوال، فمنهم من قال بأنه آلة التمييز، أو قوة التمييز (Al-Qurtubi, 2006) ومنهم من قال بأن العقل هو العلم.

وقيل العقل هو الوسيلة الواعية التي يستعملها الإنسان في خدمة الفطرة ليعليها إلى مستوى المسؤولية والتكليف، إدراكا للكون وإشغال لما فيه من طاقات واستعمال لأسراره ومقاصده (Erwah, 1987).

أما السبكي فيرى بأنَّ العقل ملكة يأتي بها إدراك المعلومات (Al-Sabki, 1370h) ، محل العقل هو القلب على أرجح الأقوال (Al-Sabki, 1370h)، بدليل قول الله سبحانه وتعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا...} (الحج:46)، وقوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} (ق:37). وقال الحارث المحاسبي¹ في حقيقة المعنى للعقل هو: " غزيرة وضعها الله سبحانه وتعالى في أكثر خلقه لم يطلع عليها العباد بعضهم من بعض، ولا اطلعوا عليها من أنفسهم برؤية، ولا بحس ولا ذوق، ولا طعم" (Al-Muhasabiy, 1983). وقد عرف الجرجاني العقل بأنه: "نور في القلب يعرف الحق والباطل...، أو هو جوهر مجرد عن المادة، يتعلق بالبدن تعليق التدبير والتصرف...، فالعقل إذن، جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقا ببدن الإنسان".

وعرف ابن سينا العقل فقال: يقال عقل لصحة الفطرة في الإنسان، فيكون حده أنه قوة بها يوجد التمييز بين الأمور القبيحة والحسنة. ويقال عقل لما يكسبه الإنسان

¹ الحارث بن أسد عبد الله المحاسبي، أحد مشايخ الصوفية وشيخ الجنيد إمام الطيقة ويقال إنما سمي المحاسبي لكثرة محاسبته لنفسه، وهو إمام المسلمين في الفقه والتصوف والحديث والكلام وكتبه في هذه العلوم أصول من يصنف فيها، توفي سنة 234هـ. انظر: أحمد بن محمد بن خلكان البرمكي، وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، (مصر: مطبعة عيسى الباب الخليلي وشركاه، د.ط، د.ت)، ص100. ومحمد بن الحسين السلمي النيسابوري، طبقات الصوفية، تحقيق: نور الدين شريفة، (سوريا: دار الكتاب النفسي، ط2، 1986م)، ص56. والذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، وعبد الوهاب بن علي السبكي (ت 771هـ/1370م)، طبقات الشافعية، تحقيق: مصطفى أحمد عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1999م)، ج1، ص472.

بالتجارب من الأحكام الكلية فيكون حده أنه معان مجتمعة في الذهن تكون بمقدمات تستنبط بها الأغراض والمصالح. ويقال عقل لمعنى آخر، وحده أنه هيئة محمودة للإنسان في حركاته وسكناته وكلامه واختياره (Ibn Sina, 1908).

ونستخلص من هذه التعريفات والتي تدل على أن العقل هو الآلة التي تدرك بها المعلومات، وينتج عنها الفهم، ويصل إلى المعرفة، فيميز به الخير والشر.

ثانياً: العقل في القرآن الكريم

- كلمة العقل ومعناها في القرآن الكريم

لم يرد في القرآن الكريم كلمة العقل مصدراً قط، وكل ما ورد في القرآن الكريم هي مشتقات العقل بالصيغة الفعلية في تسع وأربعين آية، وهي: ² بصيغة "يعقلون" جاءت مكررة في اثنين وعشرين مرة، ³ و"تعقلون" جاءت في أربع وعشرين مرة، ⁴ أما صيغة "عقلوه"، و"نعقل"، و"يعقل" جاء كل منها مرة واحدة فقط. ⁵ وهناك مواضع كثيرة

² انظر: صلاح الدين المنجد، الإسلام والعقل؛ على ضوء القرآن الكريم والحديث النبوي، (بيروت: دار الكتاب الجديد، ط2، 1976م، ص23).

³ وهي في سورة البقرة: 164، 170، 171. المائدة: 58، 103. الأنفال: 22. يونس: 42، 100. الرعد: 4. النحل: 12، 67. الحج: 46. الفرقان: 44. العنكبوت: 63، 35. الروم: 24، 28. يس: 68. الزمر: 43. الجاثية: 5. الحجرات: 4. الحشر: 14.

⁴ البقرة: 44، 73، 76، 242. آل عمران: 65، 118. الأنعام: 32، 151. الأعراف: 169. يونس: 16. هود: 51. يوسف: 2، 109. الأنبياء: 10، 67. المؤمنون: 80. النور: 61. الشعراء: 28. القصص: 60. يس: 62. الصافات: 138. غافر: 67. الزخرف: 2. الحديد: 17.

⁵ ومثال ذلك في سور: البقرة: آية 75 [... مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ]، والمملك: آية 10 [وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ]، والعنكبوت: آية 43 [وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ].

استعمل فيها كلمة العقل في معانٍ مختلفة، يشير بعضها إلى معنى العلم، والمعرفة، والفهم،⁶ وأحياناً يشير كلمة العقل في مواضع أخرى إلى معنى التمييز بين الخير والشر وإمساك النفس عن الشر.⁷

ومن ناحية أخرى فقد استعملت مرادفات العقل في القرآن الكريم بالصيغة الأسمية منادى فيها أصحاب العقول مثل أولي الألباب،⁸ وأولي النهى،⁹ والأحلام والحجر والقلب والفؤاد. فكلها جاءت بمعنى العقل، فلم يرد اسم "العقل" في القرآن ولو مرة¹⁰، كما أن

⁶ منها ما جاء في سورة البقرة: آية 75 [وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ]، والعنكبوت: 43 [وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لِّمَّا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ].

⁷ منها ما ورد في سورة الأنعام: آية 32 [وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ]، وآية: 151 من نفس السورة: [... دَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ].

⁸ الألباب من اللب وهو: العقل الخالص من الشوائب ... وقيل هو ما زكا من العقل، فكل لب عقل وليس كل عقل لباً. انظر: الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد أحمد خلف الله، (مكتبة الإنجلو المصرية، المطبعة الفنية الحديثة، 1970م)، ص 449.

⁹ النهى جمع النهية وهي: العقل الناهي عن القبائح، انظر: الأصفهاني، المصدر ذاته، ص 509.

¹⁰ مما ورد بلفظ اللب، في سورة البقرة: آية 179 [وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ]. ومما ورد بلفظ النهى، في سورة طه: آية 128 [إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ]. ومما ورد بلفظ الحلم، في سورة الطور: آية 32 [أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ]. ومما ورد بلفظ الحجر، في سورة الفجر: آية 5 [هَلْ فِي ذَلِكَ فَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ].

هناك آيات أخرى كثيرة تدعو إلى النظر (Al-Muhasabiy, 1983)، والتفكير،¹¹ والتذكر،¹² والتدبر،¹³ والتبصر،¹⁴ والاعتبار،¹⁵ وكلها تشجع لاستخدام العقل. وخلاصة القول من جميع هذه المواضيع التي ذكرناها في القرآن يتوضح لنا على إلحاح القرآن الكريم على استخدام العقل، مما يدل ذلك على شأنه العظيم في القرآن الكريم.

العقل في القرآن الكريم يطلق على معنيين وهما:

الأول: القوة المتهيئة لقبول العلم كقوله صلى الله عليه وسلم: (ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل).¹⁶ ومن هذا المعنى كل موضوع رفع فيه التكليف عن الخلق لعدم وجود العقل.

¹¹ منها جاء في سورة الأعراف: آية 185 [أَوْمٌ يَنْظُرُونَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...]

¹² منها في سورة البقرة: آية 266 [... كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ].

¹³ منها في سورة إبراهيم: آية 25 [تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ].

¹⁴ منها في سورة ص: آية 29 [كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ].

¹⁵ منها السجدة: آية 27 [أَوْمٌ يَرَوْنَ أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ].

¹⁶ الأثر الذي أورده الراغب هنا ضعيف وقد أخرجه ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، في كتاب الموضوعات، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى 1386\1966، ج1، ص174. وقال: هذا حديث لا يصح. وقال العراقي، عبد الرحيم بن الحسين، في المغنى عن حمل الأسفر في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، على هامش علوم الدين للغزالي، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى، 1412\1992، أخرجه الطبراني في الكبير والأوساط من حديث أبي هريرة، وأخرجه أبو نعيم من حديث عائشة بإسنادين ضعيفين، انظر ج 1، ص 136. وانظر أيضاً، العجلوني، إسماعيل بن محمد، كشف الخفاء ومزيل الإلباس. تحقيق أحمد الفلاش، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة، 1405\1980: ج1، ص 275.

الثاني: العلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة (المقصودة في المعنى الأول) كقوله تعالى: {وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} (العنكبوت:43). ومن هذا المعنى كل موضوع ذم الله فيه الكفار لأنهم لا يعقلون كقوله تعالى: {صُمُّ بُكْمٌ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} (البقرة:171) (Al-Raghib, 1108h).

- مكانة العقل في القرآن الكريم

إنّ للعقل مكانة عظيمة في القرآن الكريم لذلك لا فهم لأيّ شيء إلاّ بالعقل بل لا فهم للقرآن الكريم إطلاقاً بمعزل عن العقل وإن المتأمل في الشريعة الإسلامية بمصادرها الراسخة، يعلم أنه ما من دين احترم العقل وكرمه، وفتح له الآفاق، ودلّه وأرشده للعضمى في الوجود مثل الإسلام، ويظهر ذلك جلياً في نصوص الوحيين. فالعقل حضبي بمكانة مميزة في سور القرآن الكريم فتردد في غالبيتها واعتبر القرآن الكون بأسره لغزاً، والقرآن كتابٌ فيه مرتعٌ خصب للعقل الراجح وبناء لملكاته، وتقويم لاجواجه، وقد تنوع الخطاب القرآني للعقل، فالمتتبع لآيات القرآن يتّضح له أن القرآن لم يكتف بذكر لفظ العقل، بل استحثه وخاطبه بمرادفاته؛ كالألباب والحجى والنّهى، وغيرها. فالقرآن مفتاحه التفكّر و النظر لما أسّس بنيانه على آيات لا يعلمها إلاّ أولو الألباب فصّرح تعالى بذلك قائلاً: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (آل عمران:190-191)

- حق العقل في القرآن الكريم

1. التحرر من رق التقليد:

وهب الله تعالى الإنسان العقل وميزه به عن سائر المخلوقات في الإرادة وقدرة التصرف والتسخير للكون والحياة، ولما كان العقل - كما عرفنا قبل - هو أداة الإدراك والفهم والتمييز، والموازنة، أمر الله تعالى بالنظر والتدبر، ودعا الإنسان إلى التحرر العقلي لإبقاء الكيان الإنساني ومروءته وتمكنه به وتصريف الحياة والمقدرات وفق ما علمه من أسبابها ومسبباتها،¹⁷ وجعله مبنى الأساس في إقامة الدين الإسلامي.

وانطلاقاً من أهمية العقل كوسيلة لأداء مسؤولية الوجود والفعل في الحياة، قرر الإسلام بحق العقل، وحقق هذا الدين القويم أمرين عظيمين للإنسان هما: استقلال الرأي والفكر واستقلال الإرادة (Abu Sulaiman, 1994)، وبيانهما كالتالي:

● استقلال الرأي والفكر:

بدأ الإسلام بالدعوة إلى حرية الرأي والفكر، وخلص العقل من استعباد العرف والافتداء الأعمى الذي يعطل العقل والخوف المهين الذي يحجره في التفكير،¹⁸ وأمر بالنظر في عجائب الكون والموجودات مما يرشده إلى معرفة الصانع لهذا الكون والمدبر لأنظمتها. قال تعالى في دعوته إلى التفكير في مخلوقاته في السماوات والأرض: (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا

¹⁷ منها في سورة آل عمران: آية 13 [... وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ.]

¹⁸ انظر: الزحيلي، الأصول العامة، مرجع سابق، ص 144.

مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ) (الروم: 8)،¹⁹ فالآية القرآنية تدعو إلى التفكير واستخدام عقل الإنسان بما يحيط به من قضايا كونية واجتماعية ونفسية وغيرها. ولهذا رفض التقليد الأعمى للأباء والأسلاف، سواء أكان مما اعتقدوه أم فعلوه، بل لا بد من وضعه موضع الاختبار، والنظر إليه في ضوء العقل، وبميزانه المستقل.²⁰ فقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز المقلدين الذين يأسرون أنفسهم على سنة آباءهم وأجدادهم وسلطان الماضي دون تفكير منهم في مدى صلاحها أو فسادها،²¹ نحو قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكُمْ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) (البقرة: 170-171). ومثال آخر: (وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) (المائدة: 104)، فالآية الأولى تبين نقصهم العقلي، والثانية تبين نقصهم العلمي، مما يترتب عليها نقصهم عن الاهتداء إلى الصواب (Salih Hindi Wa'khrun, 2000).

وبجانب رفض استعباد العرف والتقليد الأعمى، فالإسلام يرفض الجمود العقلي من جانب التبعية العمياء للسلطة والكبراء والجبابة (Al-Qardhawi, 1996)، بل يشجع إلى حرية الرأي. فعاب الذين يتبعون أصحاب السلطة الدينية والدينيوية اتباعاً أعمى دون محاكمة واقتناع أو رهبة من طغيان الأشداء (Al-Qardhawi, 1996)، قال تعالى في القرآن

¹⁹ انظر: عباس محمود العقاد، التفكير فريضة إسلامية، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط2، 1969م)، ص23. والزحيلي، المرجع ذاته، ص144. وإبراهيم مدكور، حقوق الإنسان في الإسلام، تعليق عدنان الخطيب، (دمشق: دار طلاس، د.ط، 1992م)، ص16.

²⁰ ومن أمثلة آية الأخرى: سورة الأعراف: 185، وآل عمران: 190-191.

²¹ انظر: يوسف القرضاوي، العقل والعلم في القرآن الكريم، (القاهرة: مكتبة وهبة، د.ط، 1996م)، ص253.

ذاكراً قصة هود وقومه عاد (وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ
جَبَّارٍ عَنِيدٍ) (هود: 59)، وذاكراً لقصة موسى وفرعون (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ
مُّبِينٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ) (هود: 96-97). فحرية
الرأي ضرورة فردية وضرورة اجتماعية، متوافقة مع فطرة الإنسان وفلسفة وجوده، ولا غنى
له عنها في تحقيق مصلحته الحقيقية في الدنيا والآخرة، بالإضافة إلى أنها تكسب عمقا
عقديا بتقدير الله بها (Al-Aaqad, 1969).

ومن ثم عرض القرآن مشاهد من الآخرة لهذا المتبع والمقلد، وتهرب المتبوع والمقلد،
فتبرأ بعضهم من بعض (Rahil, 2000)، قال الله تبارك وتعالى: (يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي
النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا
السَّبِيلَا رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُتُهم لَعْنَا كَبِيرًا) (الأحزاب: 66-68)، وآخر:
(إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ) (البقرة: 166).
وكذلك منع الإسلام قبول الدعوى بغير برهان علمي يشهد لها ويدل على صحتها
وصدقها. فالقرآن رفض بأن يقبل دعاوى العريضة، والمعتقدات الموروثة خالية من الدلائل
المؤيدة على صحتها كما شاعت بين الأمم السابقة. قال تعالى في كتابه متحدثا عن
دعاوى أهل الكتاب: (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهم ۗ
قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (البقرة: 111).

● استقلال الإرادة:

إن الدين الإسلامي دين عالمي، ولكل فرد حق في أن يتدين به، فلا يعرف في
الإسلام الكهانة ولا يتوسط فيه السدنة والأخبار، بل هو دين يتجه فيه الخطاب إلى عقل
الإنسان حرا طليقا من سلطان الهياكل والمحارِب (Al-Qardhawi, 1996)، قال تعالى:
(وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة: 115).
فالإسلام يخاطب الإنسان مباشرة، دون أن ينيب عنه سيده أو رئيس قبيلته، وألقى عليه

المسؤولية، وألزمه طائره في عنقه وحاسبه بعمله، فلا يسأل إلا عما يفعل، قال الله تعالى: (..وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى... (الأنعام:164/الإسراء:15/فاطر:18/الرمز:7)، وقوله تعالى: (كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ) (الطور:21).

2. حق العقل في التفكير والتعبير والحوار:

لقد ورد في القرآن الكريم آيات متنوعة تدعو وتنوه إلى التفكير واستخدام العقل مقررًا فيه حق التفكير والتعبير والحوار، وهذه الحريات الثلاث ترتبط ببعضها ارتباطًا وثيقًا لأنها تتبع من مصدر واحد وهو العقل البشري (Al-Qardhawi, 1996). وليبيان ذلك كالتالي:

● حق التفكير:

ضمن الإسلام حرية التفكير بتقرير القرآن الكريم، وهو يعني الحق للإنسان في "أن يفكر تفكيرًا مستقلًا في جميع ما يكتنفه من شؤون وما يقع تحت إدراكه من ظواهر"،²² "فكل جيل يفكر في المشاهدات وفي التراث الذي ورثه من خلفه لأجل أن يضيف إلى معلوماته ومنتوجاته التي يملكها، معلومات ومنتوجات جديدة" (Al-Aaqad, 1969)، وترتبط هذه الحرية في كثير من الوجوه بالاختيار العقدي الديني مما يعدّ من أهم الجوانب في الحرية الفكرية،²³ وإذا أمعنا النظر إلى الآيات العديدة أو الدلائل التي خلقها الله في الكون، فنجد أنها تهدي الإنسان إلى معرفة الله، وتدلهم على الحق الذي أنزل الله به في كتبه، وبعث به رسله (Al-Qardhawi, 1996)، قال تعالى: (... كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ

²² وسورة الأنبياء: 24.

²³ انظر: حسن الباش، حقوق الإنسان بين الفلسفة والأديان، مرجع سابق، ص72. وعبد الرزاق صلاح الموحى، حقوق الإنسان في الأديان السماوية، تقديم: سعدون محمد الساموك، (الأردن: دار المناهج، ط1، 2002م)، ص155.

41 Shaikhah Binti Shikh Nasir, Rahmah Binti Ahmad H. Osman, Nurul Shafiqah Binti Muhamad Shatir, Min Hailong

الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) (البقرة: 219 و 266)، و... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (النحل: 44)، فحرص الإسلام على حرية التفكير لتكون سبيل إقرار عقيدة المسلم في النفوس وحث على التفكير الإيجابي وعدم الركون إلى التقليد.²⁴

وبذلك نفى القرآن الكريم التعطيل والتجميد، كقوله تعالى: (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (البقرة: 111)، ودعوة القرآن إلى هذا التفكير يتوسع في كل المجالات سواء التفكير في ذات الله تعالى، إذ إنّ التفكير في ذات الله تعالى تجديد لطاقة العقل فيما لا يمكنه إدراكه (AI) (Qardhawi, 1996).

● حق التعبير

فالقرآن الكريم يقرر حق التفكير، وفي ذات الحين يقرر حرية التعبير ليعبر "عما يأخذه بما يهديه إليه فهمه بمختلف وسائل التعبير"،²⁵ لأنه لا معنى للتفكير الذي لا يتبعه التعبير، أو يظل محبوساً في عقل صاحبه. فقد ضمن الإسلام حرية التعبير وحث عليها، وقد شملت كثيراً من النواحي منها حرية قول الحق في كل زمان ومكان، وفي ظل أي سلطان، والإسلام أيضاً أعطى حرية التعبير للمرأة في الزواج، ولم يضع القيود على الفكر والآراء مهما كانت فلسفة الإنسان واتجاهاته، إلا إذا كانت هذه الآراء معارضة لمصلحة المجتمع، أو مخالفة

²⁴ انظر: سهر الفتلاوي، المرجع السابق، ص 46.

²⁵ علي واني، حقوق الإنسان، مرجع سابق، ص 299 باختصار.

لأهدافه، أو مخلة بالقيم والأخلاق، فأعطى للجدال حريته من أجل معرفة الصواب والحقيقة.²⁶

والإسلام يربي الشجاعة في نفس المؤمن، فلا يتردد في إعطاء كلمة الحق وتقديم النصيحة، وأباح الإسلام الإدلاء بالرأي وإعطاء وجهة النظر، كما أمر بما كان عرفاً عند العرب ولم يحرمه، وقد أباح الله تعالى لرسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم الاجتهاد مع وجود الوحي، وقد كانت هذه المثل في حياة المسلمين واقعاً علمياً ممارساً، وصورة حية متحركة يمارسها كل مسلم في موقعه، طبّقها الرسول صلى الله عليه وسلم وأصبحت سمة في التاريخ الإسلامي (Al-Muhi, 2002).

● حق الحوار

ومن ثم الإقرار على الحريتين السابقتين للإنسان فقد أصبحت الحرية الفكرية والتعبير من أساسيات الحوار، فالإسلام يعزز على حماية الحوار في طرح فكرة المخالف بأي طريقة يريدتها بما لا يخالف العقيدة العامة للناس، وأحداث التاريخ شهدت جدالاً فكرياً عميقاً وواسعاً من فلاسفة المسلمين والمتكلمين وبين فلاسفة المذاهب والعقائد الدينية والكلامية الأخرى. وهذا حق الإنسان في الحوار، وهو حق مقدس ومنهج ذو دلالة واضحة المضمون وصریحة، فقد دلت عليها النصوص القرآنية الكشافة لمهمة الأنبياء جميعاً ولا سيما مهمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في حوارهِ مع الآخرين، لأجل وصولاً إلى الحقيقة ودرج الصواب (Al-Muhi, 2002).

²⁶ انظر: محمد إسماعيل عمار، حقوق الإنسان بين التطبيق والضياع، (الأردن: مجدلاوي، ط1، 2002م)، ص310.

وبهذا يتضح لنا إقرار القرآن وضمان الإسلام لهذا الحق، ومنح كل فرد الحق في النظر والتفكير وحرية إعطاء رأيه.

3. حق حفظ العقل من مفسدات معنوية ومادية

● تحريم المفسدات المعنوية مما تشغل العقل عن مهامه

حرص الإسلام على سلامة العقل ودعا إلى تحصينه من كل ما يفسد حركته الفكرية ويشغله عن مهامه من غير منهج الله، فحذر الإسلام الإنسان من النظريات والأفكار الفاسدة المتعلقة بتوجيه النشاط الاجتماعي والاقتصادي والسياسي كالعلمانية،²⁷ والاشتراكية،²⁸ والقومية،²⁹ وغيرها مما يحذر عقول البشر عامة، وعقول كثير

²⁷ العلمانية: هي ترجمة لكلمة "Secularism"، تعني العصر أو الجيل أو القرن. وتعرف العلمانية بـ "فصل الدين عن الدولة، وهي أكثر تعريفات العلمانية شيوعاً في العالم، سواء في الغرب أو في المشرق، وهي عبارة تعني حرفياً فصل المؤسسات الدينية عن المؤسسات السياسية، أو فصل العقائد الدينية عن رقعة الحياة العامة. انظر: المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرجع سابق، ج1، ص 210، 217-218.

²⁸ الاشتراكية: مأخوذة من الاشتراك، وهي اصطلاح جديد يطلق على المذهب القائل: أن مجرد الاعتماد على حرية الأفراد في الحياة الاقتصادية لا يكفي لإيجاد نظام اجتماعي صالح، وأنه من الممكن لا بل من المرغوب فيه أن يستبدل الناس بالنظام الحاضر نظاماً موافقاً يحقق العدل الاجتماعي، ويساعد على نمو الشخص الإنساني نمواً تاماً. انظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي: بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية، واللاتينية، (بيروت: دار الكتب اللبناني، د.ط، 1982م)، ج1، ص 88.

²⁹ القومية: هي الصفة الحقوقية التي تنشأ عن الاشتراك في الوطن الواحد، ويرادفها الجنسية، والمذهب القومي هو مذهب سياسي قوامه إثارة المصالح القومية على كل شيء، فإما أن يظهر هذا الإيثار في منازع الأفراد، وإما أن يظهر في منهج حزب سياسي يناضل في سبيل قومه، ويدافع عنهم، ويعتز بهم. جميل صليبا، المرجع ذاته، المعجم الفلسفي: بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية، واللاتينية، ج2، ص 205 باختصار.

من أبناء المسلمين خاصة.³⁰ كما حذر أيضاً من التيارات الفكرية المضللة التي تأتي عن طريق المجالات والكتب الوافدة، أو الإذاعة والتلفاز،³¹ قال الله تعالى: (وَإِنْ تُطِغْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (الأنعام: 116-117)، ففيه التحذير من اتباع أهل العقائد الفاسدة المضللة الداعية إلى الكفر والفساد المخاطر للفكر المضر على العقل (Ibn Ashour, 2007).

لذلك قال صاحب الظلال: "إنه ليس "المجتمع" هو الذي يصدر هذه الأحكام وفق اصطلاحاته المتقبلة، ليس المجتمع الذي تتغير أشكاله ومقوماته المادية، فتتغير قيمه وأحكامه، حيث تكون قيم وأخلاق المجتمع الزراعي، وقيم وأخلاق أخرى للمجتمع الصناعي، وحيث كون هناك قيم وأخلاق للمجتمع الرأسمالي البرجوازي،³² وقيم وأخلاق

³⁰ انظر: عز الدين فراخ، فضل علماء المسلمين على الحضارة الإسلامية، (دار الفكر العربي، د.ط، د.ت)، ص 191.

³¹ انظر: عبد الله قادري، الإسلام وضرورات الحياة، (جدة: دار المجتمع، ط 1، 1986م)، ص 114-115 و 118.

³² الرأسمالي البرجوازي: كلمة البرجوازي أطلقت أصلاً على سكان المدن الفرنسية، ثم عممت لتتطرق على (الطبقة الوسطى)، في جميع البلاد، تنصرف بمعنى عام إلى المتوسطين، من أصحاب المهن الحرة من الملاك، والتجار، والمحامين، والأطباء، والمهندسين. وقد أدت تلك الطبقة دوراً فعالاً في القضاء على النظام الإقطاعي في أوروبا ومقاومة فكرة (الحق الإلهي) للملوك، وإرساء قواعد الحكم على النظام النيابي، وتعتبر الثروة الفرنسية وما صاحبها من مبادئ (الحرية، والمساواة، والإخاء) مظهراً لقوة هذه الطبقة. وقد اكتسبت كلمة (البرجوازية)، دلالة خاصة، لدى منظري الفكر الاشتراكي، الذين تنصرف عندهم إلى (الطبقة الرأسمالية)، تمييزاً لها عن (طبقة البروليتاريا)، طبقة العمال الكادحة، إذ يرى الماركسيون أن (النظام الرأسمالي)، ينطوي على صراع بين (البرجوازية)، و(البروليتاريا)، وأن هذا الصراع الطبقي سيؤدي إلى انتصار الطبقة اللاتبقية. ولكن جميع هذه النظريات في طريقها، بعد زوال القلعة

أخرى للمجتمع الاشتراكي .. ثم تختلف موازين الناس وموازن الأعمال وفق مصطلح هذه المجتمعات " (Sid Qutb).

وقال أيضاً الإسلام لا يعرف هذا الأصل ولا يقره، الإسلام يقر قيماً ذاتية له يقرها الله تعالى وهذه القيم تثبت مع تغير متغيرات المجتمعات، والمجتمع الذي يخرج عليها وله اسمه في الاصطلاح الإسلامي، إنه مجتمع غير إسلامي، مجتمع جاهلي، أو مجتمع مشرك بالله، لأنه يدع لغير الله من الناس أن يصطلح على غير ما قرره الله من القيم والأخلاق والتصورات والموازن، والاضاع والأنظمة، وهذا هو التوزيع الوحيد الذي يعرفه الإسلام للمجتمعات والقيم والأخلاق، إسلامي وجاهلي، بصرف النظر عن الصور والأشكال (Sid Qutb).

ومن أخطر ما منعه الإسلام الإنسان من أن يتلقى تصور عقله أموراً من البدع والخرافات، أيّاً كان نوعها وقوامها، فلذلك قد مكث الرسالة الخاتمة ثلاثة عشر عاماً في مكة المكرمة تصفي القلوب من الشرك والوثنية والخرافات.³³

ويظهر مما سبق اهتمام الإسلام بحفظ العقول من العقائد والتيارات والخرافات التي تفسدها وتشغلها عن مهامها الحقيقية وهي إقامة دين الله تعالى الموصل إلى الثواب ورضا الله في الآخرة.³⁴ ومن ذلك يسود حق العقل الإنساني في حماية بقائه في الإسلام.

● تحريم المفسدات المادية مما تسكر العقل:

الشيوعية الأولى (الاتحاد السوفيتي) - والحمد لله تعالى - إلى الزوال النهائي. انظر: الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سابق، ص 429. والزغبني، العنصرية اليهودية، مرجع سابق، ج 3، ص 343.

³³ انظر: عبد الله القادري، الإسلام وضرورات الحياة، مرجع سابق، ص 114.

³⁴ انظر: المرجع السابق.

ولا يقتصر القرآن على حفظ العقل بمحاربة المبتدعين، بل يتعداه إلى تحريم المفسدات العقلية المادية، فحرم الشرع تناول المسكرات³⁵ التي يشملها جميعاً اسم الخمر.³⁶ قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (المائدة: 90). فالآية تثبت حرمة الخمر تحريماً قطعياً بدلالة وصفه بالرجس وعمل الشيطان. ثم عقب الشارع الآية بأمر اجتناب الخمر، فضلاً من أن يتصل بها وتناولها، والأمر يقتضي الإيجاب (Al-Jasas, 1335h)، وذلك لشدة خطره على العقول وأثره السيء في علاقة الناس ببعضهم البعض، يقول تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَهُونَ) (المائدة: 91). فالخمر يضر بالمجتمع لأنه من شأنه قطع الصلات، وسفك الدماء، ويقطع صلة المخلوق بخالقه، وينزع عن نفس الإنسان تذكر عظمة الله عن طريق مراقبته بالصلاة وتذكر جلاله وجماله، مما تنعكس منه قسوة القلب وذنس النفس (Mahmud).

ومن أجل صيانة العقل عن هذه التهلكة شرع الإسلام الحد عقوبة لشارب الخمر وهو ثمانون جلدة عند جمهور الفقهاء، وأربعون جلدة عند الشافعي (Mahmud). يبدو لنا

³⁵ المسكرات من السكر وهو ستر العقل بتناول المواد التي تحدث ذلك، سواء أكانت سائلة أم جامدة.

انظر: محمد أبو زهرة، أصول الفقه، (دار المعارف، د.ط، د.ت)، ص 344.

³⁶ ذهب الجمهور كإمام مالك والشافعي وأحمد إلى أن الخمر اسم لكل شراب مسكر، سواء أكان من عصير العنب، أم التمر، أم الشعير، أم غيره، وهو مذهب جمهور المحدثين وأهل الحجاز بدليل حديث (كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام)، أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام، ح: 2003، ج 4، ص 2072. انظر: محمد علي الصابوني، روائع البيان، مرجع سابق، ص 277-278. الجصاص، أحكام القرآن، مصدر سابق، ج 2، ص 578.

إذاً ضرورة حماية عقل الإنسان من أي سبب قد يؤدي إلى هلاكه أو الإضرار به. ولهذا قيل من وسائل حفظ العقول هو: "بإراقة المسكرات، ومنع شاربها من شربها، والإنكار عليهم" (Al-Salmi, 1996)، ويبين فيه أهمية العقل وهي "محل معرفة الإله، ومناطق خطابه وتكليفه. ولأن مفاصد زوال عقل الآدمي ليست لعدم البهائم للعقول؛ إذ يصدر من السكران من القبائح والمآثم ما لا يصدر من أزدل البهائم" (Al-Salmi, 1996). والإسلام هو وحده الدين والرسالة الخاتمة القادرة على صيانة العقل في جميع جوانبها، حيث حرم الإسلام الخمر منذ ما يزيد عن أربعة عشر قرناً من الزمان قبل أن يعلم الغربيون ضرره وخطره وقبل أن يطلع العلماء الأوروبيون على آثاره السيئة المهلكة.

ثالثاً: مفهوم الفكر الإسلامي

- تعريف الفكر والفكر الإسلامي

أولاً: تعريف الفكر لغة واصطلاحاً

الفكر لغة وهي بكسر الفاء أو فتحها، إعمال النظر أو إعمال الخاطر في الشيء وهو العقل، وقيل بأنه تردد القلب في الشيء، يقال تفكر إذا ردد قلبه معتبراً والجمع أفكار، والتفكر هو التأمل وأما تعريف الفكر اصطلاحاً فهو على معنيين أحدهما خاص والثاني عام. في المعنى الخاص هو إعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها. أما المعنى العام فهو يطلق على كل ظاهرة من ظواهر الحياة العقلية ومناطق الفكر هو العقل، والعقل هو قوة للنفس بما تستعد للعلوم والإدراكات وعرف بأنه جوهر تدرك به الغائبات بالوسائل والمحسوسات المشاهدة.

والتفكير هو نقل الحس بالواقع إلى الدماغ بواسطة الحواس، ووجود معلومات سابقة توضح بواسطتها هذا الواقع. فلا يمكن أن يكون هنالك تفكير في قضية ما إلا بوجود أربعة أشياء وهم دماغ الإنسان، واقع محسوس، الحواس السليمة، والمعلومات أو

المعرفة الأولية السابقة. فالواقع ينتقل بما له من صفات بواسطة الحواس إلى الدماغ والدماغ يربط بين المعاني والمحسوسات معتمداً على المعلومات الأولية السابقة، ثم بعد ذلك يصدر حكمه على الواقع، وذلك الحكم يسمى فكراً، ويصدر الحكم تكون عملية التفكير، وبدون وجود معلومات سابقة لا يمكن أن يحصل التفكير.

ثانياً: الفكر الإسلامي

الفكر الإسلامي هو كل ما نتج من فكر المسلمين منذ بعثة رسول الله إلى اليوم في المعارف الكونية العامة المرتبطة بالله سبحانه والعالم والإنسان، والذي يعبر عن اشغال العقل الإنساني في تفسير تلك المعارف العامة في ظل المبادئ الإسلامية عقيدةً وشرعاً وسلوكاً.³⁷ ومعنى ذلك أن "المحاولات العقلية والجهود العلمية التي بذلها المسلمون منذ انتقال الرسول إلى جوار ربه، لفهم الإسلام وعرضه، ومواجهة المشكلات الواقعة في ضوء أصوله ومبادئه".³⁸

وقال بعضهم بأنه هو "المحاولات العقلية من علماء المسلمين لتوضيح الإسلام في مصادره الأصلية، القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، إما تفقهاً واستنباطاً لأحكام دينية، وإما توفيقاً بين مبادئ الدين وتعاليمه وبين الأفكار الأجنبية إما دفاعاً عن العقائد الصحيحة أو رد العقائد المنحرفة".³⁹

وأبرز ما جاء في التعريفات السابقة عدة أمور منها إعمال العقل في محاولة فهم الدين الإسلامي والاعتماد على النصوص الشرعية والمبادئ الإسلامية واستنباط الأحكام الشرعية من مصادرها الأصلية والسعي لحل المشكلات الطارئة التي تواجه الدين الإسلامي

³⁷ محسن عبد الحميد، تجديد الفكر الإسلامي، ص 18.

³⁸ راشد شهوان، محاضرات في الثقافة الإسلامية، ص ٤٥.

³⁹ محمد البهي، الفكر الإسلامي في تطوره، ص 6.

وعرض الدين الإسلامي وتبليغه وفق ذلك الفهم. فنجد أن إعمال العقل هو أحد أركان الفكر الإسلامي، وإعمال العقل لا يعني إطلاق العنان للعقل في تحديد الضوابط الإسلامية ومعالم الدين الإسلامي، وإنما إعمال العقل يكون منضبطاً بالمصادر الأصلية الإسلامية، وحدود الثوابت الشرعية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية. فالدين الإسلامي دين قطعي، لا مجال للعقل فيه من حيث إضافة شيء عليه أو حذف شيء منه أو تغيير أو تبديل أو نحو ذلك، وما مجال العقل فيه إلا فهم ذلك الدين، وتفهمه للناس.

التأصيل القرآني للفكر:

لقد وردت مشتقات الفكر في القرآن الكريم في عدة مواضع بصيغة الفعل، ولكثرتها نذكر منها قوله تعالى:

(أ) (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (سورة الجاثية: 13)

(ب) (إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ) (المدثر: 18)

(ج) (لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (الحشر: 21)

يكون الفكر إسلامياً عندما يكون المفكر مؤمناً بالإسلام ومقتنعاً بمبادئه وعندما يُعْمِل المسلم فكره في المصادر الإسلامية، ويكون إنتاجه الفكري مؤسساً على هذه المصادر، والتي هي الأصول وعندما يُعْمِل المسلم فكره في المصادر غير الإسلامية، ولكنه يستند في تقييمه وأحكامه ومواقفه إلى أساسيات الإسلام عقيدةً وشرعيةً. وعليه لا يكون فهم المستشرقين الدارسين للإسلام ولا لأحكامهم واستنباطهم فكراً إسلامياً. وكذلك لا يتضمن فكر المسلمين المتأثرين بأصول الفلسفات غير الإسلامية فكراً إسلامياً.

- الفرق بين الإسلام والفكر الإسلامي

في وجود الترابط بين الإسلام والفكر الإسلامي، إلا أنه هناك فرق بينهما، وهو كما يلي:

1- الفكر الإسلامي مستحدث ويلتزم لقانون التطور والفهم المعاصر، وأيضاً لعوامل الاضمحلال، أما الإسلام فله كتاب كقوله تعالى: (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (فصلت: 42)

2- الفكر غير معصوم عن الخطأ والوهن، وأما الإسلام فهو معصوم عن ذلك كله.

3- الفكر الإسلامي لا تجب الطاعة له، إلا بقدر ما فيه من تمثيل لكتاب الله وسنة رسوله، وذلك لأنه يخضع للنقد والمخالفة.

فالفكر الإسلامي ليس الإسلام نفسه في طبيعة الحال من حيث أنه وحي إلهي ثابت في مصدرية المعصومين، فإنَّ الفكر ليس له عصمة الإسلام نفسه، ويجب ألا يخلط به، لأنَّ خلطه قد يؤدي إلى إقحام الفكر البشري في الوحي الإلهي. وأما المراد بالإسلام هنا هو الامتثال والانخضاع لما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم مما أوحى له من الدين بالضرورة أو قام عليه الدليل اليقيني، فهو الوحي الإلهي المنزل على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، من القرآن الكريم والسنة النبوية.

وقد يهدد الفكر العقيدة الإسلامية والدين الإسلامي إذا اتجه إلى اتجاهات منحرفة، ومن أبرز تلك الاتجاهات هي إدعاء الاعتماد على العقل المستقل دون تقييده للضوابط الشرعية، إدعاء الاعتماد على الاتصال الروحي، كإدعاء الإلهوية أو النبوة أو إدعاء علم الغيب، إدعاء الاعتماد على العلم فقط والمقصود بالعلم هنا هو العلم التجريبي وفقاً للاصطلاحات الحديثة. فلا يصح منهجية الإنسان إن كان يعتمد على هذه الاتجاهات ولا يوصف بأنه إسلامي وإن كان قد ألصق بنفسه صفة الإسلام. فهناك من يربط الفكر الإسلامي مع مسميات أخرى كالثقافة الإسلامية، النظام الإسلامي، أو الدين الإسلامي، أو الحضارة الإسلامية، لكن في الواقع هذه المصطلحات تختلف بعضها عن بعض من حيث المفهوم والدلالة، مع وجود حلقات مشتركة بينها.

موضوعات الفكر الإسلامي

أولاً: تعامل الفكر الإسلامي مع العلوم الإسلامية

بما أنّ الفكر في هذا الاتجاه يوصف بأنه إسلامي؛ لا بد أن يشتمل على جميع موضوعات الدين الإسلامي بما فيها العلوم الشرعية، والنظم الإسلامية، وأحكام التعاملات الخارجية والداخلية مع غير المسلمين فضلاً عن أصحاب العقائد المنحرفة، على أن يكون اتجاه الفكر الإسلامي في هذا المجال هو التعامل ليشمل الفهم والإدراك للموضوعات الإسلامية ونظمها، ودراسة المستجدات وبيان أحكامها وفقاً للضوابط الشرعية الإسلامية. ومن أبرز موضوعات الفكر الإسلامي هي العلوم الإسلامية وما يتعلق بها من النظم الإسلامية، ومساحة الفكر الإسلامي فيها تتعلق من جانب الفروع والمتغيرات وليس من جانب الأصول والثوابت، كالعلوم المتعلقة بمصادر الفكر الإسلامي من القرآن الكريم وعلومه كالتفسير والإعجاز العلمي، التعامل مع التحديات الخارجية والمذاهب الهدامة، آلية التعامل مع الشبهات التي تُثار حول الإسلام وأهله، قضايا العلم والإيمان أو القضايا العلمية المعاصرة، المشكلات المعاصرة وكيفية التعامل معها. كما أنّ الفكر الإسلامي في هذا الجانب هو ليس بإزاء واحد، بل هو بإزاء مناهج إسلامية عديدة، ترتبط في إسلاميتها، لكنها تتمايز دون أن تتغير أو تتناقض بتمايز مادة تلك العلوم الشرعية. وعليه فإنّ الفكر الإسلامي يتعامل مع العلوم الإسلامية جميعها، وصاحب الفكر الإسلامي يجب أن تكون له دراية بالعلوم الإسلامية لتكتمل حلقات التفكير الإسلامي، والفكر الإسلامي هو ليس بمعزل عن تلك العلوم.

ثانياً: تعامل الفكر الإسلامي مع العلوم الأخرى

الدين الإسلامي بأنظمتهم وتعاليمهم وعلومهم ليس بمعزل عن العلوم الأخرى بل على العكس من ذلك، فهناك علوم يشترك في الاستفادة منها المسلم وغيره، كالطب والاقتصاد

والإعلام والكيمياء وغيرها من العلوم، وتسمى هذه العلوم بالعلوم التجريبية. ووصف تلك العلوم بأنها إسلامية كما نجدتها في مسمى الاقتصاد الإسلامي أو الإعلام الإسلامي أو الاجتماع ونحو ذلك فيجب أن يخضع إلى ضبط تلك العلوم بحدود الدين الإسلامي وأساسه هذا من جانب. ومن جانب آخر لا بد أن يكون المشتغل بتلك العلوم على دراية في الاختصاص العلمي التجريبي كعلم الاقتصاد أو الأعلام أو الاجتماع أو غيرهم، فضلاً عن درايته بالعلوم الإسلامية حتى يتمكن من الجمع بين المجالين.

أما إقحام تلك العلوم في الفكر الإسلامي، دون دراية في مبادئ تلك العلوم فقد يستلزم الخلط بين مجال ومجال آخر، وقد يجر هذا الخلط إلى انزلاق المفكر في تصادم ظاهري وليس حقيقياً بين العلوم الإسلامية والمناهج التجريبية. لذلك يمكن القول بأن العلوم التجريبية والإنسانية إذا كان التعامل معها منضبطاً بالضوابط الإسلامية مع دراية كافية فيها وفي العلوم الإسلامية المتعلقة بها، فإنها تندرج تحت موضوعات يتعامل معها الفكر الإسلامي، ليس بذاتها بل بتعامل النصوص الشرعية مع نتائج تلك العلوم.

رابعاً: الفكر الإسلامي المعاصر

- مفهوم الفكر الإسلامي المعاصر

يُعدُّ الفكر الإسلامي الحديث أو ما يُسمى بالمعاصر محاولة لتجديد وتطوير الفكر والخطاب الديني الإسلامي وتحليل الظواهر الدينية ومزجه بما هو حاصل في الواقع المعاصر، ومن ثم خلط ودمج الأصيل بالحديث وبالمفاهيم الحداثية العصرية لتواكب التطور النفسي والتاريخي والسياسي والاجتماعي للعالم والمجتمعات، فينبغي الأخذ بما يصلح وينفع من التراث ليتماشى مع ما يصلح وينفع في الواقع المعاصر من تغيرات وتطورات في كل جوانب الحياة الإنسانية حتى لا تتأول النصوص الدينية ولا يحدث انجراف تام للعالم الغربي، أو يمكننا أن نقول أنها محاولة لإحياء وإعادة الفكر الديني ليتماشى مع معطيات الواقع من خلال دراسة التراث الإسلامي، وهذا من أجل أن تتصف الأمة بمكونات الريادة معنوياً

وحسباً ومادياً، أو باختصار الفكر الإسلامي المعاصر يُقصد به جهود المسلمين في العصور الحديثة في تطوير وتجديد الفكر الإسلامي استناداً إلى الأصول الإسلامية الصحيحة.

ومن المصطلحات المستخدمة في الفكر الإسلامي المعاصر:

- **التجديد:** تنوعت مضامين هذا المصطلح مع بداية العصر الحديث، وذلك لتنوع خطاب التجديد بين تيارات مختلفة الرؤى، فكانت بمثابة إشكالية تواجه الأمة، وكلمة التجديد في الإسلام لها أصولها الشرعية ومدلولها الواضح، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يبعث على رأس كل مئة عام من يجدد لهذه الأمة أمر دينها".
- **النهضة:** ويقصد بها النهضة بعد السقوط وهذا ما جاء به الأنبياء والمرسلين للنهوض بالأمم والشعوب، وبالرغم من أن هذا المصطلح يعبر عن معنى التجديد والإصلاح إلى أنه لم ينل شهرة واسعة كمصطلح الإصلاح؛ وذلك لأنه يحمل مضمون مادي، كما يتجاوز الخطاب الديني؛ إذ يشمل جميع أنواع الخطاب.
- **الإحياء:** استخدم هذا المصطلح كثيراً قديماً وحديثاً وشاع في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، حيث يقصد به إحياء الدين في النفوس ورد الناس إلى الدين الحق، وقد استعمل أبو حامد الغزالي كتاب بعنوان "إحياء علوم الدين".
- **إعادة البناء:** وتعني إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام، وهذا ما جاء في كتاب محمد إقبال عن: "إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام"، بالرغم من أن إقبال كان يركز في كتابه على المنهج، إلى أنه بدا عليه التأثير بالتطور الحادث في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية في الغرب الذي كان يعيش فيه.

- **الصحوة:** شاع هذا المصطلح منذ عقد التسعينيات؛ بسبب انشغال العالم العربي والإسلامي في هذه الفترة بدراسة الصحوة الإسلامية والتي تعني عودة الوعي والانتباه بعد غياب أو قد يُسمى باليقظة الذي أصابها في عهود الاستعمار.

- أزمة وصور الجمود الفكر الإسلامي المعاصر

يعيش الفكر الإسلامي في عالمنا المعاصر في حالة من الركود أو التوقف أو الجمود، أو يمكننا القول أنها تعاني من أزمة؛ حيث تتجه نحو تيارات مختلفة متناقضة، يزعم كل منها أنه على صواب ويسعى في إنقاذ هذه الأزمة التي تحيط بالعالم العربي والإسلامي من جميع الجوانب، فهناك فرق تريد أن ترجع المجتمعات إلى الخلف دون النظر في التطورات الجوهرية والمستجدات التي حدثت في هذا العصر، كما هناك فرق أخرى تريد جذب المجتمعات بطريقة قد تؤدي إلى فقد هويتها، ولقول شكيب أرسلان: "ومن أكبر عوامل انحطاط المسلمين الجمود على القديم، فكما أن آفة الإسلام، هي الفئة التي تريد أن تلغي كل شيء قديم بدون نظر فيما هو ضار منه أو نافع، كذلك آفة الإسلام هي الفئة الجامدة التي لا تريد أن تغير شيئاً، ولا ترضى بإدخال أقل تعديل على أصول التعليم الإسلامي ظناً منهم بأن الاقتداء بالكفار كُفر وأن نظام التعليم الحديث من وضع الكفار".⁴⁰ وهذا الصراع جعل خصوم الإسلام يصرون على أن التخلف التي تعاني منه الأمة الإسلامية، ترجع إلى الإسلام ذاته وتعاليمه، ولكن واقع الجمود الذي حدث كان بسبب بعض الفرق من المسلمين.

⁴⁰ شكيب أرسلان، لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟، (دمشق، دار البشر للطباعة والنشر، د.ط، 1985م، ص88.

ومن منظور الفيلسوف الشهير هيجل الذي وقع في الخلط بين التراجع الحضاري للمسلمين والإسلام ذاته، قد خصص فصلاً عن الإسلام في كتابه "فلسفة التاريخ"؛ حيث قال "لقد تراجع الإسلام إلى آسيا وإفريقيا، وسمح له بالبقاء في ركن صغير من أوروبا" وكأنه يقصد تركيا وبعض من بلاد البلقان، كما أضاف إلى قوله "لقد اختفى الإسلام منذ زمن طويل من أرض التاريخ العالمي، أي لم يعد له تأثير في توجيه أحداث التاريخ، وارتد إلى الاسترخاء والسكون الشرقي" (Zaqzuq, 2014). فإن هيجل أعتقد أن الركود الذي أصاب المسلمين والذي أفقدهم تأثير توجيه أحداث التاريخ كان بسبب ضعف الإسلام ذاته وإن الإسلام لم يعد قادراً على توجيه المسلمين نحو الإرتقاء والتقدم، ولكنه قد اعترف أن الإسلام في السابق كان له تأثير شاسع في هذا المجال، وقد وصفه بأنه ثورة الشرق، كما أشار إلى أن جميع الحقوق التي يتمتع بها المسلمون تُعطى لمن يدخل في الإسلام، أي أن هناك عدالة بين المسلمين وحديثي الإسلام، وأضاف إلى قوله أن العلوم والفنون انتشرت بسرعة فائقة في ظل الإسلام، فنحن عندما نتحدث عن الفكر الإسلامي فإننا لا نقصد به العلوم الدينية فقط، بل جميع مجالات الفكر الإسلامي من مجالات دينية، علمية، فلسفية، وأيضاً في الفنون والآداب.

ومن صور جمود الفكر الإسلامي المعاصر قضية حرية المرأة، أشار الطهطاوي إلى أن الحرية تكمن في المساواة بين المواطنين في جميع حقوقهم وواجباتهم، مع إعطاء الحق لمن يستحق ومن لا يستحق وبحسب قدرة وإمكانية الإنسان، وكما ورد في القرآن والسنة حول الحرية فإنه موجه للرجال والنساء سواسية، وذلك ابتداءً من الكرامة الإنسانية إلى المسؤولية الجنائية، فمن منظور الطهطاوي أن تعليم المرأة يجعلها أكثر تعقلاً وأدباً؛ إذ يجعلها أهلاً للمعارف وتنفع لمشاركة الرجل في إبداء الرأي، كما أن التعليم سيمكنها من إيجاد وظيفة كالرجل وذلك حسب طاقتها وقدرتها، وهذا أفضل وأنفع لها من الانشغال بأمور لا تنفع، كما أن عقل وطبع المرأة لا يستقصيها من تولي الحكم والرئاسة، بل أن الحكم والرئاسة يحتاج إلى رحمة ورفق بالرعية وهذا ما تتصف به المرأة، بخلاف الرجل.

ومن الأمور التي انتشرت في عصرنا الحاضر إلحاد الشباب، والتي شاعت من خلال المواقع الإلكترونية؛ حيث تروج هذه المواقع للفكر الإلحادي بين الشباب، إلى أن أعداد الزائرين إلى هذه المواقع تزداد يوماً بعد يوم ومنهم الكثير الذين تأثروا بهذا الفكر الإلحادي، وهذا ما يدعو إلى تطوير وتجديد في علم الكلام من أجل حماية عقيدة الأمة من الانحراف وحماية الشباب من هذا الخطر، فكانت هناك مساهمة جميلة من قبل أستاذ الجراحة الدكتور عمرو شريف بجامعة عين شمس؛ حيث كان يحاول أن يشتت أوهام الملحدين، وذلك بنشر مقالة في صحيفة أخبار اليوم، وفي كتاب له أيضاً "وهم الإلحاد"، فينبغي لنا أن نُظهِر لهؤلاء الملحدين تعاليم الإسلام السامية، منها رعاية حقوق الإنسان بصفة عامة وحقوق المرأة بصفة خاصة، والمبادئ التي حثنا عليه الإسلام، كقيم التسامح والرحمة والصدق والتعاون لبناء مجتمع قوي متحضر مثقف يُستفاد منه على مر العصور.

وهناك قضية من أخطر القضايا وهي النسخ في القرآن الكريم وقد استمرت في عقول المسلمين قروناً طويلة، ولقوله تعالى: (الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) (هود:1) و(وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۗ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (الأنعام:115). فهل من غير المعقول أن يتعرض هذا الكتاب الكريم للعبث والنسخ بهذه الآيات المحكمات، إذ زعموا أن آية الرجم قد نُسخت قراءتها وبقي حكمها، كما قيل أن عدد الآيات المنسوخة في القرآن الكريم قد تصل عددها إلى مئات الآيات، وهذا يعتبر كمية هائلة، والسبب في زعمهم لاستنساخ آيات القرآن الكريم هو فهمهم الخاطيء للآية القرآنية (مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة:106) إذ فهموا من هذه الآية، لفظ "الآية" بمعنى الآية القرآنية وهذا خاطيء؛ إذ يُقصد به المعجزة أو العلامة والإمارة، فمجال النسخ في القرآن الكريم يفتح باباً واسعاً للطعن فيه.

– التجديد والاجتهاد في الفكر الإسلامي ومنهجه

الركود الذي حدث في الفكر الإسلامي كان بسبب تأخر المسلمين في العصر الحاضر، ومن هذا الواقع أراد العلماء الإصلاح والتغيير، وقد ذهبوا إلى فرق عدة، منهم ما ربط الإصلاح بالعودة للقديم، ومنهم من ربط الإصلاح بالتجديد بإحياء الحماس الديني بين الناس، ومنهم من ذهب إلى ضرورة مجاراة الحضارة الأوروبية، ورغم اختلاف مذاهبهم إلى أن لهم غرض واحد وهو تجديد الفكر الإسلامي، فالتجديد ينبغي أن يكون قائم على المصادر الأساسية للتشريع، ومن ثم يأتي دور العقل في الاجتهاد بالتفكير والتدبر والنظر من أجل إصلاح واقع الأمة في جميع المجالات الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وقد ذكرت فيما سبق عن الفريقين الذين يريدون إنقاذ الفكر الإسلامي مع اتجاهاتهم المختلفة، والفريق المتشدد المحافظ يفهم من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها" إحياء السنة وإماتة البدعة، والفريق الآخر يفهم أن التجديد هو التغيير، فيمكننا القول أن الفريق الأول قد غفل عليه الحاضر والمستقبل والتطورات الواقعة في هذا العصر، أما الفريق الثاني فغفل عليه أن الدين ثابت لا يتغير بتغير الزمان.

وقد وصف المفكر الإسلامي محمد إقبال أن الاجتهاد مبدأ الحركة في الإسلام، والرسول صلى الله عليه وسلم حثنا وشجعنا على الاجتهاد وممارسته في المجتمع الإسلامي بقوله أن المجتهد إذا اجتهد وأخطأ فله أجر واحد، وإذا أصاب فله أجران، كما حثنا الإسلام على التفكير والتدبر في كتابه، لقوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (ص: 29)، أي لتدبر آيات القرآن الكريم وما شرع الله فيه من شرائع، لتعظ ونعمل به، ولقوله تعالى منبهاً على التفكير في مخلوقاته، الدالة على وجوده وانفراده بخلقها، وإنه لا إله غيره ولا رب سواه، فقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ (الروم: 8) ويقصد به النظر والتدبر والتأمل لخلق الله، من مخلوقات متنوعة، وأجناس مختلفة، فيعلموا أنها ما خلقت سدى ولا باطلاً بل بالحق، وأنها مؤجلة

إلى أجل مسمى، وهو يوم القيامة، بالإضافة إلى التدبر والنظر في أحوال الأمة الماضية وعاقبة معاصيهم التي أصروا عليها، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ (الروم:42).

ونستخلص من هذا الحديث أن الاجتهاد في الإسلام يتضمن هذه المصطلحات التفكير والتدبر والنظر والتأمل، فالاجتهاد مستمر على مدى الأزمنة ولا يختص بفترة زمنية محددة، كما أن الحياة متجددة، فكما أن خلايا جسم الإنسان تتجدد بصفة مستمرة، كذلك الفكر يحتاج إلى الاجتهاد والتجديد لمواكبة متغيرات الحياة في كل عصر.

الخاتمة: النتائج والتوصيات:

- العقل نعمة عظيمة من نعم الله تعالى التي أنعم بها على الإنسان، فمن خلال العقل يستطيع الإنسان أن يتعرف على أسرار خلق الله تعالى وعظيم صنعه، ومن خلاله يتوصل إلى تصديق الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله تعالى لهدايتهم وسعادته، فإنَّ الإنسان لا يستطيع أن يهتدي إلا بالعقل، فالعقل كالأساس والشرع كالأنبياء، أو الشرع كالشمس والعقل كالعين، فإذا فتح العين رأى الشمس، وإلا فلا.
- للعقل منزلة عظيمة ومكانة رفيعة في دين الله تعالى، ومع ذلك فإنَّ له حدوداً لن يتمكن من تخطيها أو تجاوزها، فالعقل بحاجة دائمة للشرع.
- إنَّ القرآن الكريم والأحاديث النبوية تشجع باستمرار إلى عملية التفكير والتدبر للإنسان في جميع ظروفه طيلة حياته.
- القرآن الكريم يشجع إلى التعقل والتأمل والنظر إلى مخلوقات الله تعالى، أما السنة النبوية أكدت على أهمية استخدام العقل في العلم، واعتباره مناط التكليف،

وضورته للمعاملات، وذلك قدّم الإسلام أصحاب العقول والنهي والأحلام على غيرهم، وقد ميز به الإنسان على غير خلق الله.

- هناك اختلافات في آراء بعض علماء المسلمين بعلاقة القلب والعقل، فمنهم من يرى أنّ محل العقل في القلب، ومنهم يرى أن محل العقل في الرأس أو الدماغ، ومنهم من يجمع بين الرأيين والأقرب إلى الصواب أن نجمع بين الرأيين.
- حما الإسلام العقل من كل ما يشينه ويعيبه كالتقليد والاعتزاز بأصحاب السلطة والخوف منهم، وحث على التداوي والحفاظ على الصحة، وأيضاً حماية العقل من مفسداته.
- إنّ الإسلام دعا إلى تنمية العقل عن طريق التعلم والاستزادة به، لأنّ العلم ينمي العقل ويزيده مكانة ورفعة.
- حرص الإسلام على تنمية القدرة العقلية للإنسان المسلم من خلال عدة أساليب منها:

- استخدام أسلوب السؤال باعتباره مفتاح العلم.
- ضرب الأمثال لتوصيل المعلومة للمتلقي.
- استخدام أسلوب الحوار والنقاش كسبيل للتعلم والتلقي.
- استخدام مبدأ الشورى، والاستشارة باعتباره أصلين من أصول الإسلام.
- إعادة تكرار المعلومة مرات عديدة لترسخ وتحقق الهدف منها.
- الحفاظ على العقل من كل ما يؤثر عليه ويضعف قيامه بدوره بكفاءة.

الحمد لله الذي أعاننا على إتمام هذه المقالة، والله تعالى يوفقنا ويوفقكم إلى ما يحب ويرضاه ونرجو من الله أن نكون قد أرتقينا بدرجات العلم النافع، وصلى الله عليه وسلم على معلمنا الأول وحبينا سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

References

- Al-Qur'an Al-Karim
Ahadith Nabawiyah
Abu Sulaiman, Abdul Al-Hamid, (1994). A'zmat Al-Aaql Al-Muslim. Al-Dar Al-Ilmiyah Lilkitab Al-I'slami. Riyadh.
Al-A'ahdl, Abdullah Al-Qadiri, (1410). Al-Islam Wadarurat Al-Hayat.
Al-Aaqad, Abaas Mahmud, (1969). Al-Tafkir Faridah Islamiah. Dar Al-Kutaab Al-Arabi. Beirut.
Al-Aaqad, Abaas Mahmud, (2013). Al-Tafkir Faridah Islamiah. Muasasat Hindawi.
Al-Alusiyy, Aysar Faiq al-Hasaniy. Muhadharat al-Madkhla li Dirasah al-Fikri al-Islamiy. Rumadiy: Jamiah Al-Anbar, Jamiah al-Ulum al-Islamiyyah, Qisim al-Aqidah wa add-Dahwah wal Fikr.
Al-Barmaki, Ahmad Bin Muhamad Bin Khalkan, (1272). Wafiyat Al-a'yan Wa'bna' 'anba' Al-Zaman. Matbaeat Eisaa Albab Al-Khalbi Washurakah. Mesir.
Al-Bash, Hasan Mustafa, (1426). Huquq Al-Insan Bayn Al-Falsafa Wa'adyan. Jameiat Al-Dawah Al-Islamiah Al-Aalamiah. Banghazi.
Al-Fairuz Abadi, Muhammad bin Yaakub Majduddin, (2005). Al-Qamus Al-Muhith. Muhammad Al-'Arqasusi. Darul Hadith. Cairo.
Al-Habasyinah, Bahjat Abdul Razak, Haji Dollah, wa Hajjah Seri Rahayu. Hukuk al-Insan al-Mutaalliqah bi al-'Aqal fi al-Quran al-Karim wal 'Ahd al-Qadim: Dirasah Muqaranah. Volume 20, No. 1-1 July 2013, Maqalah Mansyurah minal Jami'ah Bait.
Al-Haishan, Mahmud Muhammad 'Audah, (1996). Jawanibul Fikr Wat Tafkir Fi Al-Quran Al-Karim. Jami'ah Al-Yarmouk-Kulliyah As-Syariah-Qismu Usuluddin.
Al-Jasas. (1335). Ahkam Al-Quran, Dar Al-Nashr Dar 'iihya' Al-Turat Al-Arabi.
Al-Kharhaj, Ibrahim Al-Siri, (1988). Ma'ani Al-Quran Wa'ierabih. Abdul Jalil Abduh Shabi. Alam Al-Ksutub. Beirut.

- Al-Masiriy, Abdul Wahab. (2005). *Mausu'ah al-Yahud wal Yahudiyyah wa al-Sahwaniyyah*. Volume 1, Mauqi' ad-Duktur al-Masiriyy. Al-Muhasabiy, al-Harith bin Asad, (1983). *Tahqiq: Husain al-Qutliyy Darul Fikri. Damascus.*
- Al-Muhi, Abdulrazaaq Salah, (2002). *Huquq Al-Insan fi Al-Adyan Al-Samawiah*. Sadun Muhamad Al-Samuk. Dar Al-Manahj. Jordan.
- Al-Munjid, Salahuddin, (1976). *Al-Islam wa-Aqal: 'ala Dhau' Al-Quran Al-Karim wal Hadith an-Nabawiy*. Darul Kitab Al-Jadid. Beirut.
- Al-Qardhawi, Yusuf, (1996). *al-Aqlu wa al-Ilmu fi al-Quran al-Karim*. Mathbaah al-Madani. Cairo.
- Al-Qardhawi, Yusuf, (2013). *Mauqif al-Islam min al-Aqli wa al-Ilmi*. Maktabah Wahbah Littibaah Wannasyar. Cairo.
- Al-Qurtubi, Muhammad bin Ahmad bin Abi Bakar bin Farah Al-Ansari al-Khazrajy al-Andalusiy, (2006). *Al-Jamik li Ahkam Al-Quran*. Abdullah bin Abdul Muhsin at-Turkiy. Muassasah ar-Risalah. Beirut.
- Al-Qurtubi, Musa bin Maimun al-Andalusiy, (1203). *Dilalah al-Hairiin*. Hassan Ataiy. Maktabah at-Thaqafah Ad-Diniyyah.
- Al-Raawi, Fuaad Muhsin, (2009). *Al-Fikr Al-Islami Fi Muajahat Al-Fikr Al-Gharbi*. Dar Al-Mamun Lilnashr Waltawzie. Amman.
- Al-Raghib, Al-Husain Bin Muhamad Al-A'asfahani, (1108). *Al-Mufradat Fi Gharib Al-Quran*. Muhamad Khalil Eitani. Dar Al-Marifah. Beirut.
- Al-Sabki, Abdul Wahaab Bin Ali, (1370). *Al-A'ashbah Walnazayir*. Adil Abdul Al-Mawjud, Wa Ali Muhamad Muawad. Dar Al-Kutub Al-Elmiah. Beirut.
- Al-Sabuni, Muhamad Ali, (1980). *Rawa'ie Al-Bayan Tafsir Ayat Al-Ahkam*. Maktabat Al-Ghazali, Muasasat Manahil Al-Urfan.
- Al-Salmi, Eiz Al-Diyn Bin Abdul Al-Salam, (1996). *Shajarat Al-Marifa Wal'ahwal Wasalih Al-'aqwal Wal'amal*. Eiyad Khalid Al-Tilae. Dar Al-Fikr Al-Muasir. Beirut.
- Al-Zughibi, Ahmad Bin Abdullah Bin Ibrahim, (2006). *Al-Unsuriah Al-Yahudiah Watharaha Fi Al-Mujtama Al-Islami Walmawqif Minha*. Maktabat Al-Abikan. Al-Riyadh
- Ammar, Muhamad Ismail, (2002). *Huquq Al-Insan Bayn Al-Tatbiq Wa Al-Dayae*. Majdalawi. Jordan.
- Ammarh, Muhamad, Azmat Al-Fikr Al-Islami Al-Muasir. Dar Al-Sharq Al-Awsat Lilnashr. Cairo.
- Badi, Jamal Ahmad Basyir, Syusyah, Hasam Musa. *Daur al-Qalb fi al-Amaliyyah at-Tafkiriyyah minal Manzur al-Islamiy: Dirasah*

- Wasfiyyah Tahliliyyah, Majallah al-Islam fi Asiaa, Volume 15, Adad Khas Littakamul baina Ma'arif al-Wahyu al-Islamiy wal Ulum, 2018.
- Erwah, Ahmad. (1987). Al-Alim Wa Al-Diyn: Manahj Wa Mafahim. Dar Al-Fikri. Damascus.
- Fraaj, Eiz Al-Diyn, (2002). Fadl Ulama' Al-Muslimin Alaa Al-Hadarah Al-Urubiyah. Dar Al-Fikr Al-Arabi. Cairo.
- Hamd, Muhammad Dhau' An-Naim Mahmud. (2016). Makaanah al-Aqli fi Al-Islam wa inda Ulama' al-Madaris al-Aqliyyah al-Hadith. Thesis Master in Usuluddin. University Gharb Kardafan.
- Hana, Nashidah, Sufur 'iisheia' Mufsalan ayah ayah. Maktabat Al-'iikhwah. Mesir.
- Hanashiyah, Abdul Wahab Mahmud Ibrahim. (2009). At-Tafkir wa Tanmiyyah fi Dhou' al-Quran al-Karim. Thesis Master in Usuluddin. Palestine: Jamiah An-Najah al-Wataniyyah.
- Hashim, Sulaiman, (2000). Al-Akidah wal Qanun: Dirasah li ba'di al-Jawanib Al-Qanuniyyah Fi as-Syariah al-Yahudiyyah. Zahrah al-Syarq. Cairo.
- Ibn Ashour, Muhamad Al-Taahir, (2007). Al-Tahrir Waltanwir.
- Ibn Manzur, Muhamad Bin Makram Bin Ali Abu Al-Fadl Jamal Al-Diyn, (1290). Lisan Al-Arab. Dar Al-Tiba'ah Al-A'amirah Bibulaq. Mesir.
- Ibn sayidh, Abu Al-Hasan Ali Bin 'ismail, (2000). Al-Muhkam Walmuhit Al-'Azam. Abdul Al-Hamid Handawi. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah. Beirut.
- Ibn Sina, Al-Husain Bin Abdullah, (1908). Tisa'a Rasayil fi Al-Hikmah Waltabieiaat. Dar Al-Khan Al-Mirza. India.
- Ismail, Fatimah Mahamud, (1993). Al-Quran Walnazar Al-Aqli. Manshurat Al-Mahad Al-Alami Lilfikir Al-Islami.
- Jamil Saliba, (1982). Al-Mu'jam Al-Falsafi: Bial'alfaz Al-Arabia Walfaransiah Wal'ijniliziah, Wallatiniah. Dar Al-Kutub Al-Lubnani. Beirut.
- Mahmud, Syaltut, Al-Fatawa. Darul Qalam. Cairo.
- Mikhail Eithon, At-Tafsir Al-Hadith lil Kitab Al-Muqaddis: Al-'Ahdu al-Qadim. Safarul Jamiah.
- Muhammad Abu Zahrah. Usul Fiqh. Darul Maarif.
- Muhammad, Fathi Uthman, (1979). Min Usul al-Fikr al-Siyasiy al-Islamiy. Muassasah ar-Risalah. Beirut.
- Qadiri, Abdullah, Al-Islam Wadarurat Al-Hayat. Dar Al-Mujtamaei. Jeddah.

Rahil Muhamad Ghrabaih, (2000). Al-Huquq Walhuriyaat Al-Siyasiah Fi Al-Shariah Al-Islamiah. Dar Al-Manar. Jordan.

Salih Hindi Wa'khrun, (2000). Al-Thaqafah Al-Islamiah. Dar Al-Fikr Liltiba'ah Walnashr. Amman.

Sid Qutb, Fi Zilal Al-Quran.

Tbara, Afif Abdul Al-Fataah, Ruh Al-Diyn Al-Islami.

Wafiyy, Ali Abdul Wahid, Hukuk al-Insan fi al-Islam. Darul Nahdhah Mesir li at-Tiba' wa an-Nasyar. Cairo.

Zaqzuq, Mahmud Hamdi, (2014). Hawamish Alaa Azmat Al-Fikr Al-Islami Al-Mua'sir. Majama Al-Buhuth Al-Islamiah.